البحث الأول

الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان

National defense and military mobilization in the era of the Prophet

Prof. Dr. Mohie Hilal Al-Sarhan

League of Arab States / Union of Arab Historians –

Institute of Arab History

الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان

جامعة الدول العربية/ اتحاد المؤرخين العرب - معهد التاريخ العربي

أحمد الله العلي العظيم، وأصلي وأسلم على نبينا الكريم، سيدنا محمد بأفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه القويم.

أما بعد:

فإنه لما شاءت حكمة الله تعالى بأن يختتم رسالاته برسالة الإسلام، لنشرها وتنفيذها ليعّم الخير والسعادة بين الأنام، اختار لها حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام، فبدأ بالدعوة إليها، فقام بذلك خير قيام، مكملاً ما جاء به الأنبياء والرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام، داعياً إلى عبادة الله العزيز العلام، ونبذ عبادة الأوثان والأصنام، ومحاربة الكفر والفسق والضلالة والاجرام، متبعاً في ذلك سبيل السرية والرفق والأناة والإحكام.

ومع كون الرسالة الجديدة تقوم على تحقيق الخير للناس والعدل والإصلاح على مر السنين والأعوام، ونبذ الشرك والجهل والعدوان واحلال العلم والعرفان بدلاً عن الخرافات والأوهام. فقد بدأت القبائل ومعها رؤوس الشر والنفاق، وأهل الجهل والضلالات تتجمع لتحقق الانضمام الى جبهة واحدة للقضاء على هذه الدعوة الجديدة التي قلبت موازينهم وسفهت آراءهم، فتواثبوا للانتقام، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد تمسك بما أمره به ربه العلام بآداب الإسلام في تحقيق الامن برفق وتؤدة وسلام، فأمر أصحابه بالصبر، وتحمل ما يلاقونه من الكيد والعنت والأذى والآلام.

ولكن لابد أن يحصل بين الفريقين الصدام، نتيجة لتوسع الخلاف واشتداد الخصام مما دعا المؤمنين الى أن يأخذوا حذرهم ويستعدوا لواقعات الأيام تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾. (الأنفال: ٦٠)

دفاعاً عن دعوتهم الحقة وعن النفوس والأعراض والأموال، ولم يكن ذلك التأهب لأجل العدوان، فالعدوان حرام في الإسلام، ولكن للدفاع عن الحق الذي اختاره الله لهم طريقاً ومنهجاً في الحياة.

ومن هنا أيد الله عباده الصالحين في ثباتهم على عقيدتهم الصافية رغم التهديدات والاعتداءات، فثبتوا رغم قلة عددهم، ولكن الدعوة تحتاج الى دعاة يبلغون أوامر الله الى العباد، وينبهّونهم الى ما تقتضيه الرسالة الإسلامية من الدعم والجهاد ونصرة الحق. ولكن الله لم يطلب منهم في تلك الحقبة أن يحملوا السلاح ويقاتلوا، أو أن يأخذوا سبيل العنف والتصدي للمشركين لأن الدعوة قائمة على العقل والمنطق لا على الإكراه والظلم.

فقد أمرهم الله سبحانه وتعالى في أول الامر بالرفق والتؤدة والحكمة في نشر الدعوة وإقناع الناس بحقيقتها ومجادلة المشركين بالحسنى فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين﴾. (النمل: ١٣٥)

لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً مع المشركين، بل بقوا على عنادهم وأصرّوا على التضييق على المؤمنين.

ثم لما تمادى المشركون في كفرهم وضلالهم وعدوانهم وتضييق السبل على المسلمين أذن الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين أن يقاتلوا فقال سبحانه وتعالى:

﴿أذن للذين يُقاتَلُونَ بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾. (الحج: ٣٩)

أي أذن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يقاتل المشركين في عدوانهم،

قال قتادة: وهي أول آية نزلت في القتال، فأذن لهم أن يقاتلوا. (الطبري: تفسير الطبري ١٩/٤٦٦، الخبر: ٨٠٤، ٨٠٥)

ولما كانت الحرب قد قامت، فلابد أن يوضع للأمر دقيق النظام، وأوفق التشريعات، وأنسب الأحكام؛ لتؤدي الدعوة وظيفتها دون الخروج عن روح الإسلام وهديه، ولأجل أن تصان الدعوة عن ارتكاب الظلم ضدها، فجاءت التشريعات بتفصيل أحكام الجهاد بعد ايجازها لئلا تخرج الحرب عن مشروعيتها في حفظ الامن واستتباب النظام في الربوع، ونشر التوحيد وإزالة الكفر والطغيان، وحفظ السلام، فلم تأت الدعوة للتخريب والعدوان وقطع صلات القربى ووشائج الارحام.

فجاءت الآيات القرآنية الشريفة بتفصيل ما للجهاد من الآداب والاحكام لما هو

ضروري للدعوة على مر السنين وتتالي الأعوام؛ فقد جاءت كلمة (الجهاد) ومشتقاتها في القرآن الكريم أربعين مرة (عبد الباقي، ١٩٨٧، ص١٨٢-١٨٣)، استعملت فيها هذه اللفظة ومشتقاتها استعمالات متعددة منها معان مجازية ولكن أكثرها تدخل تحت معنى (الجهاد) الاصطلاحي وهو الذي غلب في عرف الشرع على جهاد الكفار ((وهو دعوتهم الى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا)). (ابن الهام السكندري: فتح القدير ٤/ ٢٧٧)

وذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾. (التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩)

ففي هذه الآية أمر بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وهذا المعنى هو ما ذهب إليه ابن عباس (رضي الله عنهما) فيما رواه بالسند عنه الامام الطبري. (الطبري: تفسير الطبري، ١٤/ ٣٥٨ – ٣٥٩) (الحديث: ١٦٩٦٢، ١٦٩٦٣)

وفي قوله تعالى: ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ (الفرقان: ٥٢) أمر بمجاهدتهم مجاهدة كبيرة قبل تشريع القتال وهي تتسع لتشمل الدعوة الى الدين الحق كما تشمل مجادلتهم بالتي هي أحسن، وإقامة الدليل لتأييد هذا الدين كما تشمل إقامة البراهين على رد باطلهم، وابطال عقيدتهم ودحض افتراءاتهم على الله وبيان ضلالتهم وخسرانهم، وكل ذلك قد يكون فعلاً أو قولاً، وقد يكون ببذل النفس أو المال أو الولد أو المصلحة زما يمكن أن يبذله الإنسان في سبيل نصرة الحق ودحض الضلال. (السرحان: ص ١١٠-١١١)

وقيل تشمل هذه الآية مقاتلتهم إذا لم تنفع الدعوة السلمية، قال القرطبي: ((وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأن السورة مكية نزلت قبل الامر بالقتال)). (احكام القران المعروف بتفسير القرطبي: ١٣/ ٥٨)

وقال الزمخشري في تفسيرها: ((والمراد أن الكفار يجِّدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضّك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من الشاق النظام)). (الكشاف عن غوامض التنزيل: ٣/ ٩٦)

وقال صلى الله عليه وسلم: ((المجاهد من جاهد بنفسه في طاعة الله) [1].

(١) حديث ((المجاهد من جاهد بنفسه في طاعة الله)) أخرجه الامام الترمذي بسنده عن فضالة بن عبيد في حديث أوله ((كل ميت يختم على عمله...)) فانظر الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي / في أبواب الجهاد: ٢٦٥/٣ الحديث ١٦٢١ وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان: في أبواب السير ٤٨٤/١٠ الحديث ٤٦٢٤، ٥/١١ الحديث: ٤٧٠٦ و٢٠٣/١١-٢٠٤ الحديث ٤٨٦٢ واسناده صحيح.

فتشمل لفظة (الجهاد) مجاهدة النفس

ومن هنا نجد ان لفظة الاجتهاد تتسع لتشمل الوقوف بوجه الشرك والباطل والظلم والفساد سواء أكان ذلك باليد أو بالقول أو بالعمل في كل مجالات الحياة.

ولا شك أن هذه المعاني واسعة جداً لاتساع الهدف؛ لأن الايمان الكامل لا يتحقق الا بالوقوف امام صور الباطل المتعددة والمبادرة الى سلوك طرق الخير في كل مجال.

ولا يكفي في الايمان الإقرار باللسان ما لم يصحبه عمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى؛ إذ ان الايمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان (الخطيب البغدادي: ٣٨٦/٦) إذ قال صلى الله عليه وسلم: ((الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الايمان)) [١] .

فالتعبئة ليست عسكرية خالصة بل هي عسكرية وتربوية ونفسية فالمؤمن يتبع جميع الاحكام الشرعية ويطبقها ويبتعد عن كل صور الإشراك الجلي والخفي وجميع صور المعاصي، ويبادر الى عمل الخير في كل مجال ويعمل على تطبيق ما يقتضيه الايمان في كل مجال فيمنع عن الحرام وعن الاعتداء والسرقة ... ويمنع رجله من السير الى المعاصي وجميع أشكال الحرام ويمنع عينه من النظر المحرم واللسان عن الرفث والغيبة والنميمة وعن أكل الحرام، ومغالبة النفس ومجاهدتها في الميل الى الهوى والمعصية والإضرار، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه عد ذلك من الجهاد الأكبر إذ قال: حينما رجع من بعض غزواته: ((رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر))

وفي رواية أخرى للحديث: أنه قال: ((قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر)) قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: ((مجاهد العبد هواه))

وفي رواية أخرى انه قال لقوم قدموا من الجهاد: ((مرحباً بكم قدمتم ...)) وقيل انهم قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ فقال: ((جهاد النفس)) [٢] .

فإذا اضفنا الى كل ذلك قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم

---

(١) حديث: ((الايمان بضع وسبعون شعبة...)) متفق عليه عن ابي هريرة فانظر البخاري: صحيح البخاري الباب الثاني أمور الايمان ١٣/١ الحديث ٩، والقشيري، ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم – كتاب الايمان الباب ١٢ باب عدد شعب الايمان: ٦٣/١ الحديث ٣٥.

(٢) حديث: ((رجعنا من الجهاد الأصغر...)) أخرجه بالسند عن جابر الامام البيهقي في كتابه الزهد الكبير ص ١٩٨ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤٩٣/١٣ ، ضمن الترجمة ٧٣٤٥ ، وهو في الغزالي: احياء علوم الدين ٦٦/٣ والعراقي المغني عن الاسفاء في الاسفار (مطبوع في هامش الاحياء في النسخة نفسها وانظره في الزمخشري: الكشاف : ١٧٢/٣ والحداد: المستخرج من الكتب ١٥٨٦/٤ الحديث : ٢٤٥١ والسيوطي في الدرر المنتثرة في الاحاديث المشتهرة ص ١٢٥-١٢٦ الحديث ٢٤٥ وانظر بشأنه العجلوني كشف الخفاء : ٥١١/١-٥١٢ الحديث ١٣٦٢ . (ضعيف)

منكـراً فليغـيره بيـده، فـإن لـم يسـتطع فبلسـانه، فـإن لـم يسـتطع فبقلبـه، وذلـك أضعـف الايمـان)) [١]

يتجـلى لنـا اتسـاع شـعب الايمـان وتطبيقاتـه في الجهـاد الـذي هـو أحـد مجـالات الدفـاع الوطنـي والتعبئـة، إذ توسـعت مجـالات الجهـاد لتكـون عـلى أربعـة اقسـام:

١- جهـاد بالقلـب، وهـو مجاهـدة الشـيطان ووسواسـه ومجاهـدة النفـس بإبعادهـا عـن الشـهوات المحرمـة

٢- جهاد باللسان، وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣- جهـاد باليـد، وهـو زجـر العصـاة وكفهـم عـن المنكـرات بالتأديـب والـضرب ومنـه إقامـة الحـدود

٤- جهـاد بالسـيف، ولا ينـصرف معنـى الجهـاد إذا أطلـق الا اليـه (الخـرشي: شرحـه عـلى مختـصر خليـل، ٣/١٠٨)

عدد الجنود عند الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لمـا كان المسـلمون قـد اعتنقـوا الإسـلام وآمنـوا باللـه ربـاً وبسـيدنا محمـد نبيـاً وكانـوا بـلا ريـب يحمـون العقيـدة مـن كيـد الكافريـن ويدافعـون عنهـا بالقـول والفعـل فقـد كان كل واحـد منهـم جنديـاً في هـذه الدعـوة، يـذود عـن اسـلامه وعـن امـن الدولـة وامـن المجتمـع يحفظـه ويدافـع عنـه ويحميـه مـن تحـركات المشركـين.

وقـد بـدأت هـذه الدعـوة تثبـت وجودهـا بإسـلام النـاس واحـداً بعـد واحـد وتتزايـد فـرداً فـرداً تجمعهـم رابطـة الايمـان. وأول الجنـود هـم المهاجـرون الأولـون الذيـن بلـغ عددهـم لمـا أسـلم عمـر بـن الخطـاب رضي عنـه أربعـين، أو نيفـاً وأربعـين (ابـن سـعد، كتـاب الطبقـات الكبـير، ٣/٢٤٩)

وحـين هاجـر الرسـول الكريـم سـيدنا محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وانتـشر الإسـلام في المدينـة ومـا حولهـا باعتنـاق الذيـن هداهـم اللـه الى الايمـان فكانـوا عـدداً كبـيراً.

روى البخـاري بسـنده عـن حذيفـة قـال: قـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((اكتبـوا لي مـن تلفـظ بالإسـلام مـن النـاس)) قـال: فكتبنـا لـه ألفـاً وخمسـمائة رجـل... (صحيـح البخـار، ٢/١٠٢٩)، (الحديـث: ٢٨٩٥) قلـت: فـكان ذلـك اول إحصـاء يقـوم بـه سـيدنا محمـد عليـه الصـلاة والسـلام.

(١) حديث: ((من رأى منكم منكرا فليغيره...)) اخرجه الامام مسلم في صحيحه في الايمان منه الباب ٢٠ باب كون النهي عن المنكر من الايمان، صحيح مسلم: ٦٩/١ الحديث ٤٩ وأبو داوود ١١٤٠ ، والترمذي من الجامع الكبير : ٢١٧٢ ، والنسائي في السنن الكبرى ١١٧٣٩

ولما كان ذلك تسجيلاً عاماً، فقد يكون فيهم من تتوفر فيه شروط التعبئة العسكرية، ومن لم تتوفر. وإنما هم كلهم جنود يشتركون في الجهاد ودفع الاضرار والمفاسد عن العقيدة والتشريع وعن المجتمع، وعن أنفسهم واعراضهم واموالهم.

ولما حدثت معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة اشترك فيها ٣١٣ رجلاً، وقيل غير ذلك (ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ٦٥). لكن ذلك العدد لا يمثل كل الجندي، لأن الغزوة لم تكن قائمة على أساس الحرب فكثير من الناس لم يشتركوا فيها.

وفي معركة أحد روى ابن إسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بألف من أصحابه (كتاب السيرة والمغازي ص ٣٢٤، والطبري في تاريخه: ٤/ ٥٠٤ وابن الاثير: الكامل: ٢/ ١٥٠)، ثم انخزل عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعمائة (الواقدي: المغازي: ١/ ٢١٩، وابن هشام، البر: ٢/ ٦٤، والطبري: ٢/ ٥٠٤، ٥٠٧)، وقيل ٧٥٠ مجاهداً. (الواقدي: المغازي: ١/ ٢١٩، وابن هشام، البر: ٢/ ٦٤، والطبري: ٢/ ٥٠٤، ٥٠٧)

وقد اختلفت الروايات بشأن اعداد المجاهدين في غزوة الحديبية: فقد روى البخاري بسنده عن عبد الله بن أُبيّ أوفى قال كان أصحاب الشجرة الفاً وثلاثمائة. (صحيح البخاري: (كتاب المغازي) الباب ٣٣ باب غزوة الحديبية: ٣/ ١٤٢٠) (الحديث: ٣٩٢٤) وروى البخاري أيضا بسنده عن البراء بن عازب وعن جابر بن عبد الله ان الصحابة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاً وأربعمائة. (صحيح البخاري: (كتاب المغازي) الباب ٣٣ باب غزوة الحديبية: ٣/ ١٤٢٠) (الحديث ٣٩٢٠، ٣٩٢٣)

وروى أيضاً بسنده عن جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة (صحيح البخاري: (كتاب المغازي) الباب ٣٣ باب غزوة الحديبية: ٣/ ١٤٢٠) (الحديث: ٣٩٢٢) (أي ألفاً وخمسمائة) وفي رواية مروان والمسور بن مخرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج عام الحديبية في بضع عشر ومائة. (صحيح البخاري: (كتاب المغازي) الباب ٣٣ باب غزوة الحديبية: ٣/ ١٤٢١) (الحديث: ٣٩٢٦)

وفي غزوة الفتح في رمضان سنة ٨ هـ كانوا عشرة آلاف. (ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير: ٢/ ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩) (البخاري: الصحيح: ٣/ ١٤٥٢ الباب ٥ باب غزوة الفتح الحديث ٤٠٢٧)

وروى البخاري ايضاً بسنده عن انس انه في يوم حنين كان مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا (ابن سعد: الطبقات: ٣/ ١٢٦، ١٢٩) (البخاري:

صحيح البخاري- المغازي- الباب ٥٣ باب غزوة الطائف ٣/١٤٦٩) (الحديث: ٤٠٧٨) وفي قتال لهوازن أتى الرسول صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفاً (ابن سعد: الطبقات: ٢/١٤٣) وفي غزوة مؤتة كان عدد المجاهدين الذين اشتركوا فيها ثلاثة آلاف (ابن سعد: الطبقات: ٢/١١٩) (الطبري: تاريخ: ٣/٣٦) (الشهيد نعمان ثابت: ص ١١) وبلغ عددهم في غزوة تبوك ثلاثين ألفاً (ابن سعد: الطبقات: ٢/١٥١) (الشهيد: الجندية: ص١١)

ثم تزايدت اعدادهم في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عنهم وما تلا عصرهم من العصور.

شروط التعبئة العسكرية في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وشروط التعبئة عند الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة، وعلى رأسها شروط التكليف في الشرع الحنيف، ومنها:

أولاً: الإسلام:

فلا يصح ولا يصلح للتعبئة العسكرية الإسلامية والدفاع الوطني استخدام المشرك، فحين جاء ذلك الشخص الذي طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوافق على انضمامه الى جيش الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر قال له صلى الله عليه وسلم: ((تؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا، فقال صلى الله عليه وسلم: ((فارجع فلن استعين بمشرك)) [1] . فلما أسلم وافق على انضمامه الى الجيش.

٢- العقل وإيناس الرشد، فلا فائدة من تجنيد المجنون والشخص الذي لم يؤنس منه الرشد.

٣- البلوغ: فلا يصح تكليف الصغير، وقد ردّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في معركة أحد عدداً من أبناء الصحابة الذين لم يدركوا البلوغ، منهم أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأسيد بن ظهير، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة. (الواقدي: المغازي: ١/٢١) (ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/٦٦) (الطبري: تاريخ الطبري: ٢/٤٧٣، ٥٠٥) (ابن الاثير: الكامل: ٢/١٥١) (الهيتمي: مجمع الزوائد: ٦/١٠٨ مشيراً الى ان الطبراني روى هذا الحديث بسنده عن اسيد بن ظهير في المعجم الكبير: ١/١٧٩) (الحديث ٥٦٩)

(١) حديث ((لن استعين بمشرك)) اخرجه بمسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير الباب ٥١ باب كراهة الاستعانة في الغزو بكائر انظر صحيح مسلم ٣/١٤٤٩ - ١٤٥٠ الحديث ١٨١٧.

٤ – اللياقة للقتال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في الجنود قبل المعركة فيستعرض المقاتلة فمن رأى لياقته أجازه، ومن وجده غير لائق رده اكان ذلك بسبب الصغر كما قلنا , ام بسبب عدم الطاقة الجسمية لمرض ام نقص ام به عاهة تمنعه من المشاركة ، كالعرج او العمى , او كانت دابته غير مناسبة، فقد أعفى من كابن بعيره صعباً غير منقاد ولا ذلول، ومن كانت دابته ضعيفة؛ فقد روى الطبراني بسنده عن أبي امامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب المقاتلين الى غزوة خيبر قال: ((لا يخرجن معي مصعب ولا مضعف)) [١]

قال ابن الاثير: ومنه انه قال صلى الله عليه وسلم ((لا يخرجن معنا إلا رجل مُقْوٍ)) [٢] قال ابن الاثير: أي ذو دابة قوية [٣] .

التفرغ للجهاد:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمح بالاشتراك في الجهاد لمن كان له شاغل يشغله، كرعاية الوالدين ليس لهما أحد غيره فقد روى الشيخان البخاري ومسلم بالسند عن عبد الله بن عمرو انه قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الاشتراك بالجهاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحيٌّ والداك؟)) قال: نعم قال: ((ففيهما فجاهد)) [٤]

وروى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يخلونّ رجل بامرأة، ولا تسافر امرأة الا ومعها محرم)) فقال رجل: يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وخرجت امرأتي حاجة، قال:

((اذهب مع امرأتك)) [٥]

---

(١) حديث: ((لا يخرجن معي مصعب ولا مضعف)) رواه الطبراني بسنده عن ابي امامة الباهلي في حديث طويل اوله: ((تجهزوا الى هذه القرية الظالم أهلها)) (يعني خيبر) في المعجم الكبير: ٢٧١/٨ -٢٧٢ الحديث ٧٨٩٧، قال الهيتمي: وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد: ٣٢٢/٥ -٣٢٣، و١٤٧/٦-١٤٨ ١٢٧/٤ مادة (قوي)

(٢) حديث: ((لا يخرجن معنا الا رجل مقو)) قال السيوطي اخرجه عبدالرزاق عن مجاهد فانظر الدر المنثور في التفسير المأثور: ١١٢/٥

(٣) النهاية في حديث الغريب والاثر: ١٢٧/٤ مادة (قوي)

(٤) حديث: ((أحي والداك؟...)) اخرجه الشيخان البخاري ومسلم بالسند عن عبدالله بن عمرو فانظر في صحيح البخاري – الجهاد الباب ١٣٦ باب الجهاد بأذن الوالدين ج٢ من ١٠٠٩ الحديث: ٢٨٤٢ و ٣٠٦٧/٤ الحديث ٥٦٢٧ وصحيح مسلم في البر والصلة الباب الأول باب بر الوالدين: ١٩٧٥/٤ الحديث ٢٥٤٩

(٥) صحيح البخاري : كتاب الجهاد الباب ١٣٨ باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة ١٠٠٩/٢ الحديث: ٢٨٤٤

٦- الاقدام والشجاعة:

وذلك بأن يكون في الجندي الشجاعة والاقدام على الحرب ومعرفة بالقتال، قال الامام الماوردي انه إذا جازت المبارزة فإنه يلزم ((ان يكون ذا نجدة وشجاعة يعلم من نفسه انه لن يعجز عن مقارعة عدوه، فإن كان بخلافه منع)) (الاحكام السلطانية: ١٣٥)

٧- تحقيق الرغبة عند المجاهد:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر أن يصحبه في المعرك من يقبل على القتال راغباً غير متباطئ، وكان كثيراً ما يقول عليه الصلاة والسلام: ((لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد)) [١] . وكان يوصي أمراء السرايا ((بأن لا يكرهوا أحداً على السير معهم)). (ابن سعد: الطبقات: ٢/١٣)

وحين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في غزوة ذي العشيرة قبل معركة بدر وكان ذلك على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره قبل ثلاثة أشهر من معركة بدر (إذ كانت معركة بدر على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره) وكان قد خرج في خمسين ومائة ويقال في مائتين ممن انتدبهم، ولم يكره أحداً على الخروج معه فيها. (ابن سعد: الطبقات: ٢/٦) (ابن الاثير: الكامل: ٢/١١٣)

٨- اتخاذ آلات الجهاد:

قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الانفال: ٦)

وقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أجياد الخيل ([٢]) (ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد، ص: ٦٥)، وقال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة)) ([٣])

وأمر اصحابه بإحسان النفقة عليها (ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد: (ص ٦٥-٦٦)

---

(١) حديث: ((لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد)) اخرجه الواقدي في حديث طويل أوله: ((لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا، وبعث منادياً ينادي لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد....)) الخ فانظر المغازي: ٦٣٤/٢ وأخرجه آخرون.

(٢) وفيها اسماء خيله صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث: ((الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة)) اخرجه الشيخان بالسند عن عروة بن ابي الجعد عن النبي صلى الله عليه وسلم فانظر البخاري : صحيح البخاري - الجهاد الباب ٤٣ باب الخيل معقود في نواصيها الخير ج ٢ ص ٩٦٢ الحديث ٢٦٩٥ وانظر فيه ايضا بأسانيد والفاظ اخرى في الاحاديث ٢٦٩٤، ٣٤٤٣، ٣٤٤٤، ٣٤٤٥، واخرجه مسلم عنه في الامارة من صحيحه الباب ٢٦ باب الخيل في نواصيها الخير ١٤٩٣/٣ ، الحديث ١٨٧٣ كما اخرجه بأسانيد اخرى فانظر الحديث: ١٨٧١، ١٨٧٢ .

واتخذ الإبل والبغال (ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد: ص ٦٥-٦٦) كما اتخذ جيد السلاح من السيوف والرماح والقسيّ والدروع (ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد: ص ٥٧-٦٤)؛ لنصر دين الله في الجهاد في سبيله.

واتخذ العيون والارصاد والطلائع خارج المدينة وداخلها (ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد: ص٨٧)

ونظّم امور الحرب باعتبارها ضرورة لا مفر منها ووضع المبادئ الأساسية (الكتاني: التراتيب الإدارية)

كما نظّم الروح المعنوية للمقاتل المسلم في السلم والحرب على منهج الاسلام وهديه. (الجبوري: نهاد عباس، ص ٢٧ وما بعدها)

واتخذ الرايات والالوية بالألوان المختلفة ليعرف كل قوم رايتهم (ابن جماعة مستند الاجناد: ٧٢-٧٦)

وشدد في تعبئة المقاتلين وكان كثيراً ما يحدد مواقفهم في الحرب جاعلاً لكل جماعة قائدهم. قال تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾. (آل عمران: ١٢١)

وفي خاتمة هذا البحث نبين اهم النتائج التي يمكن استنباطها من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم من موضوع الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية فنقول وبالله التوفيق:

١- ان الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية عن الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هما بابان من ابواب الناحية التطبيقية للإيمان والعقيدة، لا ينفصل عنده الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية عن مقرراتها في السلم والحرب لأن مقاصد الشرع الحنيف تدور حول حفظ الضروريات الخمس: وهي حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال في كل وقت، وهذه نفسها هي مقاصد الدفاع الوطني والتعبئة العسكرية فهما اسلوبان تطبيقيان من الاساليب التطبيقية لمقررات الايمان والعقيدة والشريعة.

٢- ان نجاح قيادة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الحكيمة في تثبيت دعائم الدفاع الوطني والتعبئة انما كان بتقدير من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وهو امر ملموس في كل تفصيلة من تفصيليات السيرة النبوية الطاهرة، والا فكيف تغلب فرقة الضعفاء العزل من السلاح والمقدرة على فرقة الجبابرة الذين يفوقون تلك الفرقة الضعيفة

عـدداً وعـدة في معركـة بـدر وغيرهـا، وكيـف اسـتطاع شـخص واحـد ان يوحـد بـين هـذه الامـواج المتكاثـرة مـن الاشـداء المختلفـين في العقيـدة والـرأي والاجتهـاد لـولا عنايـة الرحمـن ونـصره وتأييـده، قـال تعـالى:(هـو الـذي أيـدك بنـصره وبالمؤمنـين وألـف بـين قلوبهـم لـو أنفقـت مـا في الارض جميعـاً مـا ألفـت بـين قلوبهـم ولكـن اللـه ألـف بينهـم ان اللـه عزيـز حكيـم).

فصـلى اللـه عليـك يـا سـيدي يـا رسـول اللـه بأفضـل الصـلاة وأزكـى السـلام؛ فقـد أيـدك الله بتوفيقـه وتسـديده ونـصره وبجنـدك المجاهديـن الكـرام حـين بلغـت مـا أوحـاه اليـك ربـك ذو الجـلال والاكـرام مـن بديـع الآيـات وجليـل الاحـكام، وقمـت بتفصيـل مـا أوحـاه ربـك خـير قيـام، وجاهـدت في تثبيتـه بلسـانك ويـدك وسـيفك عصـاة الاقـوام فأزلـت بأنـوارك ظلمـات الـشرك والاوثـان والاصنـام، وددت بهديـك ضـلالات الجهـل والخرافـات والاوهـام فجـزاك اللـه بأفضـل مـا يجـزي نبـي عـن امتـه وسـتبقى خالـداً عـلى مـرور السـنين والاعـوام، يـا خـير مـن خلـق اللـه مـن بـين الانـام، فعليـك نصـلي بأفضـل الصـلاة وازكـى السـلام.

المصادر والمراجع

ابـن الأثـير: عـز الديـن ابـو الحسـن عـلي بـن محمـد الشـيباني الجـزري (المتـوفى ٦٣٠ هــ): الكامـل في التاريـخ دار مصـادر بـيروت ط ١٤٠٢ هــ ،١٩٨٢م.

ابـن الاثـير: مجـد الدين ابـو السـعادات المبـارك بن محمـد الجـزري (المتـوفى ٦٠٦ هــ): النهاية في غريـب الحديـث والاثـر تحقيـق محمـد محمـود الطفاحـي دار احيـاء الكتـب العربيـة لعيـسى البابي الحلبـي ط١ ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

ابـن اسـحاق: محمـد بـن اسـحاق بـن يسـار (المتـوفى ١٥١هــ): سـيرة ابـن اسـحاق المسـماة كتـاب السـير والمغـازي تحقيـق د. سـهيل زكار دار الفكـر بـيروت ط١ ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م.

ابـن اسـحاق محمـد بـن اسـحاق بـن يسـار (المتـوفى ١٥١هــ) السـيرة النبويـة تحقيـق احمـد فريـد المزيـدي دار الكتـب العلميـة بـيروت ط٢ ٢٠٠٩.

البخـاري: ابـو عبـد اللـه محمـد بـن اسـماعيل الجعفـي (المتـوفى ٢٥٦هــ): صحيـح البخـاري تحقيـق د. مصطفـى ديـب البغـا ط٢ دار العلـوم الانسـانية دمشـق ١٤١٣هــ،١٩٩١م.

البيهقـي: احمـد بـن الحسـين (المتـوفى ٤٥٨ هــ) كتـاب الزهـد الكبـير تحقيـق د. تقـي الديـن النـدوي دار القلم الكويـت ط٢ ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م.

الترمذي: ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (المتوفى ٢٧٩ هـ) الجامع الكبير تحقيق د. بشار عواد معروف دار العزب الاسلامي ط٢ ١٩٩٨.

الجبوري: نهاد عباس الجبوري: تدابير الامن العسكري في صدر الاسلام دار الحرية للطباعة بغداد ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ابن جماعة الحموي: بدر الدين محمد بن ابراهيم الكناني (المتوفى ٧٣٣هـ) مستند الاجناد في آلات الجهاد دار الشؤون الثقافية في الجمهورية العراقية دار الحرية بغداد ١٩٨٣م.

الجنابي: خالد جاسم تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي منشورات وزارة الثقافة والاعلام دار الحرية للطباعة ١٩٨٤م.

ابن حبان: محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (المتوفى ٣٥٤ هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق شعيب الارنافروط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٣، ١٤١٨هـ،١٩٩٧م.

الحداد: أبو عبد الله محمود بن محمد: المستخرج من الكتب – تخريج أحاديث احياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي دار العاصمة للنشر في الرياض ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٩٧م.

الخرستي: ابو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي (المتوفى ١١٠١ هـ): حاشية على مختصر سيدي خليل بيروت دار صادر ١٩٧٥م طبعة مصورة على طبعة مطبعة محمد مصطفى في القاهرة لسنة ١٣٠٦هـ.

الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (المتوفى ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١م.

خماس اللواء الركن علاء الدين حسين مكي: فن الحرب عند العرب من اصدارات بيت الحكمة في بغداد مطبعة اليرموك بغداد ط١ ١٩٩٩ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ابو داود: سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي (المتوفى ٢٧٥ هـ) سنن ابي داوود تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٩٤٥م.

الزمخشري: ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (المتوفى ٥٣٨ هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل انتشارات آفات نهران تصويراً على طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

السرحان: محيي هلال: الجهاد معناه واحكامه وآدابه في الفقه الاسلامي بحث ألقي في

الندوة العربية لبيت الحكمة في ٨-٩ كانون الثاني يناير ٢٠٠٢ ونشر في اعمالها التي نشرت في كتاب الجهاد ... فكراً، وممارسة بغداد ٢٠٠٢م ص ١٠٥- ١٣٢.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (المتوفى ٢٣٠ هـ) تحقيق د. علي محمد عمر ط ١ الشركة الدولية للطباعة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

سويد، العميد الركن د. ياسين: الفن العسكري الاسلامي أصوله ومصادره ط١ شركة المطبوعات للنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م.

السيد الوكيل، الدكتور محمد: القيادة والجندية في الاسلام ط ٣ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة – القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

السيوطي، الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى ٩١١ هـ) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ نشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود – الرياض المملكة العربية السعودية ط ١ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

السيوطي، الامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (المتوفى ٩١١هـ): الدر المنثور في التفسير المأثور ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م.

الشهيد نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية اشرفت على طبعته الثانية الآنسة تماضر نعمان ثابت مطبعة اسعد بغداد ١٩٥٦م.

الصنعاني: الحافظ ابو بكر عبد الرزاق بن همام (المتوفى:٢١١هـ): المصنف تحقيق المحدث حبيب الرحمن الاعظمي ط١ مطبوعات المجلس العلمي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

الطبراني، الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد (المتوفى ٣٦٠ هـ): المعجم الكبير من مطبوعات وزارة الاوقاف – احياء التراث الاسلامي في الجمهورية العراقية ط١ مطبعة الوطن العربي ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠هـ): تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد (ابو) الفضل ابراهيم ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠هـ): تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق محمود محمد شاكر ومراجعة احمد محمد شاكر ط١ القاهرة دار ابن الجوزي ٢٠٠٨م.

العجلوني الجراحي، المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد (المتوفى ١١٦٢هـ) كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، أشرف على طبعه وتصحيحه احمد القلاش نشر مكتبة التراث الاسلامي- مطبعة الفنون حلب (دون ذكر

تاريخ الطبع والطبعة).
العراقي زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (المتوفى ٨٠٦هـ): المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار مطبوع في هامش احياء علوم الدين الذي سيأتي.
العلاف: مازن مجيد مصطفى: عدة الحرب في نهج الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وممارسته ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
الغزالي، الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) إحياء علوم الدين المكتبة التجارية الكبرى دون ذكر الطبعة والمطبعة وتاريخ الطبع.
القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (المتوفى ٦٧١ هـ): تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن ط٣ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بدار القلم ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
القشيري، مسلم بن الحجاج (المتوفى ٢٦١هـ): صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب العربية لعيسى الحلبي ط١ ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
الكتاني، محمد الحسن الادريسي: التراتيب الادارية المطبعة الاهلية في الرباط.
الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (المتوفى ٤٥٠ هـ): الاحكام السلطانية والولايات الدينية تحقيق د. محمد جاسم الحديثي مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
محمد فرح: الاستراتيجية العسكرية الاسلامية النظرية والتطبيق مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية في الازهر مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية بالقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
ابن منكلي، نقيب الجيش محمد بن منكلي (المتوفى ٧٨٤هـ) الادلة الرسمية في التعابي الحربية تحقيق اللواء الركن محمود شيت خطاب مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
النسائي: ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (المتوفى:٣٠٣هـ) كتاب السنن الكبرى تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كروي حسن ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.
الهروي، علي بن ابي بكر الهروي (المتوفى ٦١١ هـ): التذكرة الهروية في الحيل الحربية تحقيق مطبع الرابط منشورات وزارة الثقافة والارشاء القومي دمشق ١٩٧٢م.

ابـن هشـام، ابـو محمـد عبـد الملـك بـن هشـام بـن ايـوب الحمـيري (المتـوفى ٢١٨هـ). السـيرة النبويـة تحقيـق مصطفـى السـقا وابراهيـم الابيـاري وعبـد الحفيـظ شـلبي ط٢ مطبعـة مصطفـى البابـي الحلبـي بمـصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

ابـن الهمـام السـكندري، كمـال الديـن محمـد بـن عبـد الواحـد الحنفـي (المتـوفى ٨٦١ هـ): فتـح القديـر ط١ المطبعـة الكـبرى الاميريـة ببـولاق مـصر ١٣١٦.

الهيثمـي، الحافـظ نـور الديـن ابـو الحسـن عـلي بـن ابـي بكـر (المتـوفى ٨٠٧ هـ) مجمـع الزرائـد زمنبـع الفوائـد نـشر مكتبـة القـدسي ١٩٣٢-١٩٣٤ وصـورت تصويـراً في دار الكتـاب العربـي بـيروت ١٩٦٧م.

الواقـدي، ابـو عبـد اللـه محمـد بن عمـر (المتـوفى ٢٠٧ هـ): الغـازي تحقيـق مارسـدن جونس مطبعـة جامعة اوكسـفورد لنـدن ١٩٦٦م.